جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الرّسم العربي
بين القدماء والمحدثين

الدكتورة
ملك محمد حسن اسماعيل
جامعة البلقاء التطبيقية / كلية الأميرة عالية الجامعية

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الرّسم العربي بين القدماء والمحدثين

يعرض هذا البحث لبعض جهود القدماء والمحدثين في خدمة الرّسم العربي. ويكشف البحث أنّ هذه الجهود التي بذلها القدماء كانت جهوداً فائقة ، لم يرتابوا في صحة الرّسم ، بل قعّدوا له القواعد ، وأصلّوا الأصول، وزادوا على ذلك بيان ما يحتاجه الكاتب من لوازم الكتابة ، وإذا أُلبس عليهم شيء استعانوا بالشّكل . وأمّا المحدثون فذهب فريق منهم وهم الأكثرون إلى متابعة القدماء ، وذهب فريق إلى الاهتداء بمناهج النّظر الغربيّة ،والدّراسات الاستشراقية ناسين أو متجاهلين أنّ لكل لغة طوابعها الخاصة بها.

الكلمات المفتاحية: الرسم ، الرسم العربي ، القدماء والمحدثين ، الرسم عند القدماء ، الرسم عند المحدثين ، الخط العربي .

دكتورة

ملك محمد حسن اسماعيل

جامعة البلقاء التطبيقية / كلية الأميرة عالية الجامعية
Email: malakawad2012@yahoo.com

Research Summary

Arabic painting between the ancient and modern

This research presents some of the efforts of the ancient and modern in the service of Arabic painting. The research reveals that these efforts made by the ancients were super efforts, they did not doubt the validity of the drawing, but prepared him rules, and the origin of the assets, and increased the statement of the needs of the author of writing supplies, and if they wear something they used the form. As for the modernists, some of them went to follow the ancients, and the team went to be guided by the Western methods of view, and Orientalist studies, forgetting or ignoring that each language has its own stamps.

Keywords: Drawing, Arabic drawing, the ancients and modernists, drawing when the ancients, drawing when modern, calligraphy.

Dr.
Malak Hassan Mohamed Ismail
Balqa Applied University
Princess Alia University College.
Email: malakawad2012@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا بحث يعرض جهود القدماء والمحدثين في الرّسم العربي ، وقد ساق طائفة من المتقدمين ، وكشف عن الجهد الضخم الذي بذلوه في خدمة الرّسم العربي ، وكيف استعانوا بالشّكل عند وقوع اللبس ،لكنهم لم يرتابوا أبداً في صحة الرّسم العربي ، وقد خدم هذا الرّسم أبناء الأمة قروناً.

نعم كان هناك خلاف بين العلماء في بعض المسائل، ولكنّه خلاف في الفروع لا في الأصول .أمّا المحدثون فمنهم –وهم الكثير الغالب – من تابع المتقدمين ،وعرض قواعد الرّسم بيسر وسهولة ، مستعيناً بالتّمرينات والتّدريبات ، وإذا اجتهد فاجتهاده لا يمس الأصول ، ومنهم من توهم بأنّ في العربيّة مشكلات منها اختلاف الصورة المنطوقة عن الصورة المكتوبة ،وأخذ يستهدي في علاج هذه المشكلات بأنظار الدّرس الغربي ناسياً أو متجاهلاً أنّ لكل لغة طوابعها الخاصة ، ولا يجوز حمل لغة على أخرى فضلاً عن أن ّاختلاف الصورة المنطوقة عن الصورة المكتوبة أظهر بكثيرٍ في اللغتين الانجليزية والفرنسية من اللغة العربيّة ، ولم يشك أصحاب هاتين اللغتين من هذه الظاهرة .

ومن المحدثين من ذهب إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي. وهذا أخطر ما قيل في الرّسم العربي في العصر الحديث ، ولو قُدر لأصحاب هذا المذهب النّجاح لقُطع ماضي الأمة عن حاضرها ، ولما أفادت العربية شيئاً ،لأنّ الأخذ بهذا المذهب يقتضي إضافة حروف جديدة ، فضلا عمّا فيه من صعوبة وعسر ، وقد بينا هذا مفصلاً في تضاعيف البحث.

وانتهى البحث إلى أنّ الرّسم العربي لا مشكلة فيه،ويمكن الاستعانة بضبط الكلام عند وقوع اللبس ، وعلى الدّارس العربي أن يأخذ نفسه بالجدّ والمثابرة في تعلم قواعد العربية ،تماماً كما يفعل أبناء الأمم الأخرى حين يتعلمون لغاتهم ويتقنونها.

إنّ العلم الصحيح في كل ضرب من ضروب العلم لا يتحقق بالركون إلى الراحة وإنّما يتحقق بالسهر المتواصل والكدّ والعناء .

وقد ختم البحث بخاتمة رصدت فيها ما توصلت إليه من نتائج،ثم قفوت الخاتمة بثبت المصادر والمراجع.

تمهيد:

حظي الرّسم العربي بعناية علماء العربيّة واهتمامهم، قديماً وحديثاً. وآية ذلك ما أفردوا لهذه المسألة من كتب ، وما عقدوا من أبواب ،وفصول تضمنتها تضاعيف هذه الكتب ، وما نشروا من أبحاث في مجلاّت مختلفة ، ويعبّر عن الرّسم بالخط تارة ، والهجاء تارة ثانية ،والكتابة تارة ثالثة ، والإملاء تارة رابعة ،وتقويم اليد تارة خامسة .وهذه المسميات تفضي بضربٍ من ضروب النّظر إلى حقيقة واحدة ، أو غاية واحدة ، وقد نجد بين هذه المسميات فروقاً يقول ابن درستويه في كتابه(الكتاب): "وسمّيناه كتاب الكتاب إذ كان قصدنا فيه لما يكتب من تهجٍ وقراءة دون غيره، ولأنّ الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضاً ، وأنّ الخط قد يكون تصويراً ونقشاً ، ولم ننسبه إلى الكتابة لأنّها صناعة الكاتب وهي تجمع أسباباً غير الكتاب " [١]

وعلم رسم الحروف من العلوم الجليلة ،بل هي من أرفع العلوم وأعلاها عند السيد أحمد الهاشمي.[٢]

ويعرّف السيد أحمد الهاشمي علم رسم الحروف بأنّه "قواعد اصطلاحية بمعرفتها يحفظ قلم الكاتب من الزيادة والنقصان"[٣].

وأمّا المسائل التي يتصدى لها فهي "الهمزة ،والألف اللينة ،والكلمات التي يجب انفصالها من بعضها ، والتي يجب اتصالها ببعضها ،والحروف التي تبدل ، والحروف التي تزداد ،والحروف التي تنقص"[٤].

---

(١) ابن درستويه ، عبد الله بن جعفر ،الكتاب ،ص ١٦
(٢) الهاشمي ،السيد أحمد، المفرد العلم في رسم القلم، ص ٣
(٣) نفسه ، ص ٥
(٤) نفسه ، ص ٥

والنّاظر في جهود علماء العربيّة المبذولة في خدمة الرّسم العربي ،تأخذه الدهشة ،ويغلبه الاعجاب والتجلة لهؤلاء العلماء الذين أنفقوا سؤد ليلهم وبياض نهارهم في خدمة هذا العلم وتقصيهم لمسائله المختلفة بأناة وتؤدة ونأي عن السآمة والملل.

وعسير علي ّأن أحيط خبراً بكلّ ما ألّفوه أو قالوه أو أصلّوه أو أذاعوه في هذا البحث الصغير ،ولكن حسبي أن أشير إلى بعض هذه الجهود كالنموذج والمثال .

وقد جرى البحث في قسمين:

الأوّل: تناول جهود بعض علمائنا الأقدمين،

والثّاني: تناول بعض جهود علمائنا المحدثين.

القسم الأوّل:

من جهود علمائنا الأقدمين.

يُعدّ ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ من أوائل من احتفى بالرّسم العربي ، فقد عقد في كتابه " أدب الكاتب "كتاباً سمّاه "تقويم اليد" يمتد من ص ٢٢٧-٣٠١، ويتألف من ستة وأربعين باباً تحدث فيها عن مسائل كثيرة ،منها الحديث عن ألف الوصل ،وألف الفصل ، وألف القطع ،والحذف ، والزيادة ، وما يكتب بالألف والياء من الأسماء والأفعال ، والهمزة في الفعل إذا كانت عيناً وفتح ما قبلها ،والهمزة تكون آخر الكلمة وما قبلها ساكن ،والهمزة تكون عيناً واللام ياءً أو واواً ،وما كانت الهمزة فيه لاماً وقبلها ياء أو واو ، وغير هذا من المسائل.

وتلا ابن قتيبة أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٦هـ فألّف كتاباً سمّاه: "أدب الكاتب" تحدث فيه عن فضل الكتابة ، وعن كلّ ما يحتاجه الكاتب من قلم ،وحبر ،ودواة، وما قيل عن حسن الخط ،وما قيل في بري القلم ،والسكين، والانشاء، والسطور ونحو ذلك من لوازم الكاتب والكتابة .

وأبان الصولي منهجه في كتابه فقال: "هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة ، وأقلهم فيه منزلة. وجعلته جامعاً لكل ما يحتاج الكاتب إليه حتى لا يعوّل إلاّ عليه "[1] ثم قال :"وهذا الكتاب هو المستحق أن يُسمّى " أدب الكاتب " على الايجاب لا على الاستعارة، وعلى التّحصيل لا

(١) الصولي ،أبو بكر محمد بن يحيى ،أدب الكاتب، ص ٢٠

على التّمثيل "[١] ، ثمّ أخذ يَغْمِزُ بابن قتيبة وكتابه" أدب الكاتب" من غير تصريح .قال: "فإنّي رأيت مَن صنّف مثل هذا الكتاب ونسبه هذه النّسبة ،ولم يحصل له منه إلاّ تسميته دون تجسيمه، وتعميته دون إيضاحه وتقريبه من المعنى الذي ألبسه إياه، ونسبه إليه"[٢] . وذهب بعض العلماء إلى ما ذهب إليه الصولي من أنّ كتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب[٣]، وذهب فريق آخر إلى أنّه كتاب كثير الفوائد، جزيل النّفع حوى من كل شيء أحسنه [٤].

غير أنّ الانصاف يوجب علينا أن نقضي بأنّ للسابق فضله، وابن قتيبة سابق للصولي في الزّمان، وسابق في التّأليف في هذا الضّرب من العلوم ، و هو أوّل من ألّف في الموسوعات العربيّة ، و كتابه يُعدّ الأساس الذي شاد من بعده عليه موسوعاتهم كالقلقشندي في كتابه "صبح الأعشى"[٥]

و الذي يعنينا من كتاب أدب الكاتب الشّق المتعلق بالرّسم ، فقد عقد المؤلف في أعقاب كتابه حديثاً عن نقصان الألف و اسقاطها، و في زيادة الألف ، و في الهمز، و في الهاء ، و في زيادة الواو و نقصانها ، وفي حذف الياء في الجر و الرّفع ، و ثبوتها في النّصب ، كما تحدث عن ما يكتب بالياء و الألف من الأفعال ، و المقصور و الممدود ، وما كتب على غير قياس من مثل الصلوة ، و الزكوة ... كتب كل هذا في المصحف بالواو"[٦]

---

(١) الصولي ، أبو بكر ، محمد بن يحيى، أدب الكاتب ، ص ٢٠
(٢) نفسه ص ٢٠
(٣) انظر الجندي ،عبد الحميد سند، ابن قتيبة العالم الناقد الأديب ،ص ١٤٩
(٤) نفسه ، ص ١٤٩
(٥) نفسه ، ص١٥١
(٦) الصولي ، أبو بكر ، محمد بن يحيى، أدب الكاتب ص٢٥٥

و يرى الصولي أنّ هذين اللفظين و أمثالهما مما ورد في القرآن يجب أن يكتب بالألف للفظ ،و إنّما كتب كذلك تبعاً لأهل الحجاز" و أنت اليوم بالخيار إن شئت كتبتها بالألف و إن شئت أقررتها على ما في المصحف "[١] كما تحدث الصولي عن النّون الخفيفة، والنّون الثّقيلة ، والادغام ، وما يقطع وما يوصل .

واستغرق الحديث عن هذه المسائل المتعلقة بالرّسم ست عشرة صفحة من ص٢٤٣-٢٥٩.

وأحبّ في نهاية حديثي عن كتاب أدب الكاتب أن أسوق ما أورده في رسم مائة بالألف . قال :"و الألف في مائة زيدت فيما ذكر الأخفش ليفصل بينها و بين منه ، فإذا قالوا : أخذت مائة ،لم يشبه أخذت منه . و قالوا أيضاً : فعلوا لئلا يشبه ميّة و هذا قول مرذول ... و النّاس من أهل البصرة و الكوفة على ما قاله الأخفش "[٢]

ولا أرى ما رآه أهل البصرة و الكوفة ، ولا ما رآه الأخفش ، ولا من شبّه مائة بميّة ، لا أرى ذلك كله ،لأنّ التّعليل ضعيف ، فإذا كانت الألف في مائة لانتفاء وقوع اللبس في منه ، أو ميّة ، فلم توقفوا عند مائة ،و لم يتوقفوا عند السين و الشين قبل نقط الحروف ، و الرّاء و الزاي ، والدال ،و الذال ، والصاد ، و الضاد ، والظاء، والطاء، والعين، والغين...إنّ تفسير هذه المسألة راجع إلى السياق وإلى أنّ شطراً من كلامنا يخالف صورته المنطوقة صورته المكتوبة بزيادة في المكتوب و نقص في المنطوق ،

(١) الصولي ، أبو بكر ، محمد بن يحيى، أدب الكاتب ، ص٢٥٥
(٢) نفسه ، ص ٢٤٦-٢٤٧

أو زيادة في المنطوق و نقص في المكتوب. وهذا الشّطر أو هذا المقدار قليل في العربية إذا قيس بما في اللغة الانجليزية أو الفرنسية و تلا الصولي أبو القاسم الزّجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ، فقد عقد في كتابه الجمل باباً في أحكام الهمز في الخط ، و الهجاء .(١)

و تلا الزّجاج ابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٧ه حين ألّف كتاب الكتاب و جعله في اثني عشر باباً موزعة على مائة و ثلاثة عشر فصلاً منها عشرة أبواب متعلقة بالرّسم و هي باب الهمز : و يتألف من خمسة عشر فصلاً تحدث فيها عن شروط الهمز و معرفة لفظها و كتابها، و باب المد و يتألف من ستة فصول تحدث فيها عن شروط الممدود و تمييزه من المقصور ، و باب القصر ويتألف من سبعة فصول تحدث فيها عن شروط المقصور و أصنافه وتمييز ذلك من مثل الألف المنقلبة من الواو أو الجارية مجراها ، والمنقلبة من الياء أو الجارية مجراها، وباب الفصل والوصل ويتألف من أحد عشر فصلاً تحدث فيها عن شروط الفصل والوصل، وباب الحذف ويتألف من عشرة فصول تحدث فيها عن شروط الحذف وأصوله وعلله من مثل الحذف للتخفيف ،وحذف غير المدغم لاجتماع الأشباه و الشبهين في كلمة ونحو ذلك، وباب الزيادة ويتألف من أربعة فصول تحدث فيها عن شروط زيادة الألف، وزيادة الهاء، وزيادة الواو، والزيادة وعللها، وباب البدل ويتألف من خمسة فصول تحدث فيها عن شروط البدل وعلله من مثل بدل الألف والواو والياء والهاء ، وباب النّقط ويتالف من ستة فصول منها شروط النقط وعلته، وضروب النقط، ونحو ذلك. وباب الشّكل ويتألف من ثلاثة فصول تحدث فيها عن شروط الشّكل وعلته ، وباب القوافي

(١) انظر :الزجاجي ،ابو القاسم، الجمل ص٢٧٠-٢٧٣، ٢٧٧-٢٨١،٢٧٩-٢٨٢

ويتألف من خمسة فصول تحدث فيها عن شرط كتاب القوافي والفواصل، والمقيد وهو الموقوف، والمطلق المنصوب وغير المنصوب ونحو ذلك.

أمّا البابان اللذان ألحقا بما سبق وليسا منها فهما باب رسوم خطوط الكتب ويتألف من خمسة عشر فصلاً منها معرفة تقليب القلم و جدول رسوم صور الحروف متصلة و منفصلة و نحو ذلك و باب ما ألحق بالهجاء و ليس منه مثل ما تفتح به الكتب و ما تصدر به الكتب ، ومعرفة التّاريخ ،و تذكير العدد و تأنيثه في التّاريخ، و ذكر القلم، وبريه، وسنه، وقطه، و ذكر الدواة، والمداد، وعنوان الكتاب وتفسيره... و بيّن ابن درستويه نهجه في كتابه فقال :"و قد ألّف كلّ امرئ منهم في ذلك كتاباً على رأيه فاخترنا من مذاهبهم جميعاً ما وافق النّظر و أوجبه قياس النّحو، و بينا فيه مواضع الزّلل من غير أن ننص إلى عالم زلته أو ننعى عليه عثرته وسمّيناه كتاب الكتاب "[١]

و يقول :"اعلم أنّ الكتّاب ربّما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ماهو فيها ويثبتون فيها ما ليس منها ،ويبدلون الحرف من الحرف ،ويصلون الكلمة بأخرى لا تتصل بها ويفصلون بين أمثالها، ويختزلون عامّة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا ينطقون ولا يشكلون إلاّ ما ألبس"[٢].

(١) ابن درستويه، عبدالله بن جعفر، الكتاب ،ص١٦

(٢) ابن درستويه، عبدالله بن جعفر، الكتاب ،ص١٦

ولابن درستويه كتاب في شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال حققه الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ونشره في مجلة كلية الآداب- بغداد.

وتلا أبا محمد بن يحيى الصولي أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ه حيث ألّف رسالتين هما: الألفاظ المهموزة وعقود الهمز،وقال في رسالة الألفاظ المهموزة :"هذه الألفاظ مهموزة كثيرة الاستعمال ، يحتاج الكاتب إليها ويفتقر إلى معرفتها نظمناها على سياق حروف المعجم احتياطاً وتقريباً واجتنبنا ما كان وحشياً غريباً "[١] من مثل : بدأت، وابتدأت ، وأبدأت ، وبرأت ، وبرئت ، وأبرأت... [٢]

وعقد ابن جني فصلاً في هذه الرّسالة عن الهمزة قال فيه: " واعلم أنّ الهمزة إذا كتبت ياء في الطرف فإنّها ثابتة وليست كياء قاضٍ وداعٍ نقول: هذا قارىء ومقرئ... ونقول في الوقف والجزم اقرأ كتابك "[٣] كما ساق حديثاً عن معرفة ما يكتب بالياء والألف، [٤]وختم رسالة الألفاظ المهموزة بفصلٍ من المقاييس قال فيه: " متى أشكلت عليك لفظ فلم تدرِ مقصورة هي أم ممدودة فاقصرها، فإنّ قصر الممدود جائز، ومدّ المقصور خطأ"[٥] ، وقال في الفصل نفسه: "و متى أشكلت عليك لفظة ثلاثية فلم تدرِ من الياء هي أم من الواو فاكتبها بالألف، فإنّ كَتْب ذوات الياء بالألف جائز

(١) ابن جني، أبو الفتح ، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز ص ٢٥
(٢) انظر نفسه ، ص ٢٥-٤٢
(٣) ابن جني، أبو الفتح ، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز ،ص٤٢-٤٣
(٤) انظر نفسه، ص ٤٤-٤٩
(٥) انظر نفسه ص٥٠

حسن، وكَتْب ذوات الواو بالياء خطأ "[١] . وقال: " ومتى أشكلت عليك لفظة"[٢] مذكرة هي أم مؤنثة فذكرها، فإنّ تذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر، لأنّ التّذكير هو الأصل، والتّأنيث هو الفرع، كما أنّ القصر هو الأصل، والمدّ هو الفرع، وكما أنّ كتب الألف في اللفظ ألفاً هو الأصل، وكتبها ياء هو الفرع "[٣]

أمّا الرّسالة الثّانية التي ألّفها ابن جني وهي رسالة " عقود الهمز " فهي رسالة صغيرة تمتد من ص ٥٧-٦٤، تكلم فيها عن الهمزة حين تكون مبتدأة، وحين تكون حشواً، وحين تكون طرفاً. وختم حديثه بقوله: " فكلّ همزة أشكل عليك أمرها فاكتبها على مذهب أهل التخفيف، فإنّك مصيب بإذن الله، و إن كان مذهب الكتاب بخلاف ذلك "[٤]

وتلا ابن جني أبو البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ه الذي عقد في كتابه: " منثور الفوائد " حديثاً قصيراً عن ما يحتاجه الكاتب من مثل: بري القلم، وجودة بريه و صفة بري القلم، وفضيلة الخط، وما جاء في المداد، وما جاء في ختم الكتاب.

واستغرق هذا الحديث ثلاث صفحات من ص ٨٥-٨٨ ، ولم أقف على شيء يتعلق بالرّسم.

ولعلّ كتاب القلقشندي شهاب الدين أبا العباس أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٢١ه ، الموسوم بـ " صبح الأعشى في صناعة الإنشا" من أوسع الكتب في تناول مسائل الرّسم أو الخط والهمزة ولا داعي لذكر ماقاله، لأنّه

(١) انظر ابن جني، أبو الفتح ، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز ص٥٠
(٢) سقطت من الأصل ويقتضيها السياق
(٣) ابن جني، أبو الفتح ، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، ص ٥٠
(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، ص٦٤

حشد للجهود التي سبقته، ويرى الدكتور عبد الحميد الجندي أنّ كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة يُعدّ أساساً من الأسس التي بني عليها كتاب صبح الأعشى، وهو الأستاذ الأوّل لواضعي الموسوعات [١] . ويتألف هذا الكتاب من أربعة عشر جزءاً تضم معارف شتى ، وعلوماً مختلفة، منها الأدبية والعلميّة، والجغرافية والتّاريخية، والإدارية، والسياسيّة، كما ضمّ حديثاً عن العهود والمراسلات وما يحتاج إليه كاتب الإنشاء ومؤهلاته، وفنون الكتابة وأساليبها.

والنّاظر في الجهود التي أسلفنا الحديث عنها أنّها بعض ما قدمه علماء العربيّة من عناية واهتمام بعلم الرّسم العربي، فهي نماذج ليس غير. ويلاحظ أيضاً أنّ القدماء لم يرتابوا في صحة الرّسم العربي، فلم يدع أحد إلى تغييره أو الثّورة عليه، وانحصر الخلاف بين القدماء في مسائل جزئية لا تفضي أبداً إلى الأصول من مثل قول ابن قتيبة: " وتزاد ألف الفصل أيضا بعد الواو في مثل :"يغزوا ، ويدعوا" وليست واو جمع . ورأى بعض كتاب زماننا هذا ألا تلحق بها الألف في مثل هذه الحروف فكتبوا "هو يرجو" بلا ألف، و" أنا أدعو " كذلك ، إذا لم تكن واو جمع... غير أنّ متقدمي الكتّاب لم يزالوا على ما أنبأتك من إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم في كلّ موضع واحداً "[٢]

ومن مثل قول الصولي :" لا يكادون يزيدون الألف إلاّ بعد واو الجمع مثل آمنوا ، و كفروا . قال الفرّاء: وإنّما فعلوا ذلك ليفرقوا بين واو الأصل و واو الجمع ، و واو الأصل التي تكون في مثل يغزو ويدعو، وأشباه ذلك.

(١) انظر الجندي، عبد الحميد سند، ابن قتيبة العالم الناقد الأديب، ص ١٥٦
(٢) ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله ، أدب الكاتب ،ص٢٣٧

وقال الأخفش :" إنّما فعلوا ذلك لئلا يشبه واو الجمع واو العطف"[١]

ومن مثل قول ابن جني :"وبعد فكل همزة أشكل عليك أمرها فاكتبها على مذهب أهل التّخفيف ،فإنّك مصيب بإذن الله ،وإن كان مذهب الكتاب بخلاف ذلك" [٢]، فأنت ترى أنّ خلاف علماء العربيّة في بعض وجوه الرّسم خلاف في الفروع لا في الأصول ، و كلهم يسعى بإخلاص إلى خدمة العربيّة وارتفاعها ، وخلافهم في الرّسم كخلافهم في المسائل النّحوية والصرفيّة ، ومن المعروف أنّ أبا البركات الأنباري قدّم كتاباً من أوعب الكتب في مسائل الخلاف سمّاه " الانصاف في مسائل الخلاف "

ويلاحظ في جهود علمائنا المتقدمين أيضاً أنّهم لم يقتصروا على ذكر قواعد الرّسم ، بل تخطوا ذلك فأسهبوا في الحديث عمّا يحتاجه الكاتب من قلم ، وحبر ، ودواة ، وبري للقلم ، كما تحدثوا عن فضل الكتابة ، ومزج بعضهم بين الكتابة التي هي الرّسم والكتابة الفنية أي الانشاء، والحديث عن الكتابة الفنيّة يقتضيه مقام آخر ، وحسبي أن أشير إلى ما بسطه الجاحظ من حديث عن فضل الكتاب والكتابة والقلم واليد وما ساقه من أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب ، فضلاً عن حديثه عن الخطوط وضروبها ، والكتابات القديمة ..." [٣] وما بسطه ابن قتيبة في كتابه " عيون الأخبار" عن الكتّاب والكتابة [٤]، وما بسطه من حديث عن العلم والبيان في الكتاب نفسه[٥].

(١) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ،أدب الكتاب ،ص٢٤٦
(٢) ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز ص ٦٤
(٣) انظر الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، الحيوان ، ١ /٣٣-٧٩
(٤) انظر ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله ، عيون الأخبار ، ١/٤٢-٥٢
(٥) انظر نفسه ، ٢/١١٧-٢٥٨

القسم الثاني:

من جهود المحدثين في الرّسم العربي

افترق الباحثون المحدثون فرقتين في تناول الرّسم العربي ، فرقة اقتفت آثار المتقدمين لم تفارقهم إلاّ قليلاً ، وهذا القليل لا يمس أصول الرّسم، بل هو اجتهادات فرعية مقبولة . ويمثل هذه الفرقة الكثير الغالب من العلماء المحدثين ممن ألفوا في قواعد الإملاء ، أو قواعد الرّسم العربي .

وسنقف عند ثلاثة كتب تمثل هذه الفرقة على جهة التّمثيل لا الحصر، وهي " المفرد العلم في رسم القلم " للسيد أحمد الهاشمي ، " وقواعد الإملاء " للأستاذ عبد السلام هارون ، و " الإملاء والتّرقيم " للأستاذ عبد العليم ابراهيم ، فأمّا " المفرد العلم في رسم القلم " فقد بيّن فيه صاحبه أنّ الخطوط ثلاثة : " خط المصحف ، ويكتب على ما رسم في مصحف الإمام، و إن خالف القياس ... الثّاني : خط العروضيين ، وهو على حسب الملفوظ به ، الثّالث : الخط الاصطلاحي في غير المصحف ، والعروض ، فإنّه ليس جارياً على اللفظ كما يجري العروض فقد يحذف منه ما يثبت في اللفظ ، وقد يزداد فيه ما لم يتلفظ به ، وقد يكتب حرف بدل آخر "[١]

ويتألف الكتاب من ثمانية أبواب عالج فيها الهمزة التي ترسم ألفاً في أول الكلمة ، وفي وسط الكلمة ، والهمزة التي ترسم واواً في وسط الكلمة ، وياءً في وسط الكلمة ، والهمزة التي في آخر الكلمة ، والألف اللينة ومواضعها ، وعقد باباً في ما يجب فصله ، وما يجب وصله ، وتعريف الفصل والوصل ، وعقد باباً في الحروف التي تزاد في الكلمات وفيه مباحث

(١) الهاشمي ، السيد أحمد ، المفرد العلم في رسم القلم ، ص ٨

منها : زيادة همزة الوصل ، و هاء السكت ، وفي زيادة واو الوسط أو الطرف. وعقد باباً في الحروف التي تحذف من الكلمات من مثل: حذف همزة الوصل ، وحذف همزة الوصل من كلمة ابن ، والكلمات التي تحذف منها الألف اللينة التي في الوسط ، والكلمات التي تحذف منها الألف اللينة أيضاً ، وحكم الكلمات التي يجتمع فيها واوان ، والكلمات التي تحذف منها الياء ، وعقد مبحثاً في حذف التاء ، وعقد باباً في حكم تاء التأنيث إذا كانت متطرفة ، وعقد باباً في نقط الياء واهمالها مثل معايش ، متى ، وعقد باباً فيما يكتب واواً أو ياء ويتلفظ به في الوصل همزة ، وختم الكتاب في حذف الكلمات اتكالاً على فهم السامع كما يجري في النّحت من مثل: "البسملة ، والحسبلة، والحمدله، ومن مثل: م(محرم)، ص(صفر)، را (ربيع الأول) وهكذا.

وقد أكثر السيد الهاشمي في كتابه من التّمرينات في صورة حكم ،أو أقوال أو حكايات، أو مقالات، ونحو ذلك مما يرغب القارىء ويبعث فيه حب مواصلة القراءة. وصدق المؤلف حين قال : " وفي هذا القدر من الأمثلة والتّمرينات كفاية، وهداية لطلبة علم رسم الحروف العربيّة، فقد بذلنا مجهودات عظيمة في تذليل قواعد هذا الفن وتقريبها إلى طريقة مثلى ملائمة لروح التّعليم الحديثة والأنظمة العصرية الجديدة "[١]

وأمّا كتاب قواعد الإملاء للأستاذ عبد السلام هارون فقد اقتفى فيه مؤلفه آثار المتقدمين وهو كتاب صغير الحجم مكثف وافٍ بالقواعد.

(١) الهاشمي ، السيد أحمد ، المفرد العلم في رسم القلم ، ص٣٠٠

وأمّا كتاب الإملاء والتّرقيم للأستاذ عبد العليم ابراهيم فهو كتاب حسن اقتفى فيه مؤلفه آثار المتقدمين ورصد فيه القواعد المألوفة التي سبق ذكرها في كتاب المفرد العلم فلا داعي لتكرارها ، وزاد المؤلف في كتابه بذكر حديث عن علامات التّرقيم وبيان مواطنها مثل النقطة، والفاصلة والفاصلة المنقوطة وعلامة التّأثر ونحو ذلك.

غير أنّ المهم في هذا الكتاب فضلاً عما ذكره من قواعد إملائية، ما نلاحظه من وفرة التّدريبات والتّمرينات يضاف إلى ذلك ما قدّمه من بعض المقترحات بشأن الرّسم العربي، وهي مقترحات لا تخرج عن القواعد المألوفة، ولا تعمل على تغييرها، وتنطلق هذه المقترحات من اعتقاد المؤلف بأنّ القواعد الإملائية ليست موضع اتفاق بين العلماء قديماً وحديثاً، و أنّ هذه الخلافات " كأنّها تنادي بأنّ الكلمة الأخيرة لم تقل بعد في تحرير القواعد الإملائية وضبطها و إحكامها، وأنّ الباب مفتوح لكلّ من تدفعه الحماسة والغيرة ليقول كلمة هادية أو يدلي برأي ناصح رشيد "[١]

وهذا كلام حسن بشرط أن لا نبالغ في الخلاف القائم بين علماء العربيّة في الرسم لأنّه خلاف في الفروع يسير ، وأن لا نخرج في تيسير الكتابة أو اصلاحها أو إحكامها عن القواعد التي قعّدها المتقدمون لئلا نقع في الزّيغ أو الضلال، والحق أنّ المؤلف متزن ، ومربٍ، فهو يبقي على رسم المصحف إلا إذا سيقت الآية في كتاب مدرسي فهو يؤثر الرسم الإملائي[٢] ، وتجري مقترحاته في سياق مقبول وآية ذلك قوله: "إننا لن نقترح صوراً جديدة للرّسم الإملائي تبتعد كثيراً عن الصور المألوفة في

(١) ابراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم، ص ١٠٩

(٢) ابراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم،ص١١

طباعة التّراث العربي قديمه وحديثه حتى لا ينكر أبناء الأجيال الحاضرة والمستقبلة ما يطلعون عليه من هذا التّراث ، بل سنحرص على أن يظل المطبوع منه سهل القراءة ميسور التّناول"(١).

ويقول في موضع ثانٍ:" ألاّ نبيح نوعاً من الرّسم الإملائي تخرج به كلمة عن القواعد الإملائية المقررة" (٢) ،ويقول في موضع ثالث :"سرت في ظلال القواعد الإملائية المألوفة "(٣).

ويبدو أنّ المؤلف يسكنه الخوف من الخلاف أو من بعض صور المخالفة بين المكتوب والمنطوق لذلك حرص على التّوفيق بين هذين الأمرين .يقول :"حرصت على أن يكون الرّسم الإملائي مصوراً للنطق يقدر ما في وسعي من مراعاة الدقة والإحكام"(٤).

ويرى المؤلف أيضاً أنّ "القارئ يؤمن دائماً بوجوب المطابقة بين النّطق والرّسم الإملائي " (٥) لذلك يقترح المؤلف حذف الألف المقحمة في كلمة "مائة "إذ لا فرق في النّطق بين مائة وفئة ورئة "(٦). ويرى "عدم حذف الواو من داود وأمثاله ليظل الرّسم الإملائي مطابقاً للنطق"(٧)

---

(١) ابراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم،ص١١١
(٢) نفسه ص١١٢
(٣) نفسه ،ص ١٢٥
(٤) نفسه ص١٢٥
(٥) نفسه ،ص١٢٤
(٦) نفسه ،ص١٢٤
(٧) نفسه ،ص١٢٤

ويرى أن " لا داعي إلى زيادة الواو في أولى الإشارية ،وكذلك في أولاء ...وأن تكتب الأسماء الموصولة ما كان منها بلام واحدة مثل الذي ، وما كان منها بلامين مثل اللذين بلام واحدة توحيدا للرسم "(١).

ويلاحظ من هذا كله أنّ المؤلف قد عوّل كثيراً على مسألة مطابقة المنطوق للمكتوب ،ولا أرى في هذه المخالفة مشكلة ، بل إنّ العربيّة أقل بكثير من اللغة الانجليزية في مخالفة المكتوب للمنطوق ، وأقل بصورة مذهلة بينها وبين اللغة الفرنسية ،لكن المؤلف قد صدر في آرائه عن الصدى الذي تركه بعض من غالى في تصوير الخلاف الواقع في بعض الكلمات في العربية نطقاً وكتابةً وكنت أحب ألا يرى المؤلف في هذا مشكلة لأن الانجليز والفرنسيين وغيرهم لا يرون في هذه المسألة مشكلة فضلاً عن أن بعض الآراء التي ساقها المؤلف جاءت على هدي ما قاله بعض المتقدمين يقول المؤلف: "أن نسترشد فيما نقترحه بآراء الأئمة السابقين ، ولا نغفل الأسس التي استندوا إليها في ربط القواعد الإملائية ببعض القواعد الصرفيّة والنّحوية دون تعسف أو مغالاة "(٢). وللمؤلف مقترحات في رسم الهمزة في أوّل الكلمة ، وفي رسمها وسط الكلمة ،وفي رسمها متطرفة ، وله مقترحات أيضاً في رسم الألف اللينة ،والحروف التي تحذف ،والحروف التي تزاد (٣) ،لا أرى داعياً لذكرها حتى لا يخرج البحث عن حدوده ،ولأنّها مقترحات تظل في سياق المألوف من قواعد الرّسم الإملائي العربي.

---

(١) ابراهيم ،عبد العليم ،الاملاء والترقيم ، ص ١٢٤

(٢) نفسه ، ص١١٢

(٣) انظر نفسه ، ص١١٢-١٢٥

وأمّا الفرقة الثّانية من المحدثين فقد صدرت في إصلاحها للرسم العربي عن اعتقاد بأنّ في هذا الرّسم عيوباً أو مشكلات لا بدّ من إصلاحها ، وسدّ مواطن الخلل ،وتتفاوت هذه الفرقة فيما بينها تفاوتاً ظاهراً فمنهم المقتصد ومنهم المغالي الذي آثر ركوب مراكب الشطط والإسراف ونذكر من المعتدلين الأستاذ محمود تيمور في كتابه "مشكلات اللغة العربيّة فواضح من العنوان أنّ العربية تتضمن في جوفها مشكلات لا أنّها لغة كسائر اللغات لها خصائصها ،وطوابعها وسماتها ونواميسها . فقد نادى الأستاذ محمود تيمور بضبط الكتابة العربية وحصر صور الحرف الواحد لتكون صورة واحدة في البداية والوسط والآخر .ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ في الخط العربي مشكلة و أنّ اللغويين القدامى قد وقعوا في أوهام ، وقوله هذا صدى للدرس اللغوي الغربي الحديث يقول الدكتور رمضان إنّ "اللغويين العرب القدامى قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة وغفلوا عن النّطق فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم اللغوية "[١]

ويعتقد الدكتور رمضان أنّ سبب أوهام اللغويين القدامى يرجع إلى نظرتهم إلى أصوات العلّة العربيّة ، وهي التي تسمّى في الانجليزية vowels وتعرف بأنّها الأصوات المجهورة ... وماعدا هذه الأصوات في اللغة هي ما تسمى بالأصوات الصامتة أو ما يطلق عليها بالانجليزية consonants، واصوات العلّة في العربية الفصحى هي ما سمّاه نحاة العرب بالحركات وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وكذلك حروف المد كالألف في قال ، والواو في يدعو ، والياء في القاضي ،و لم تحظ أصوات العلّة من قدامى اللغويين العرب بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها ،

(١) عبد التواب ،رمضان ،فصول في فقه اللغة ، ص ٣٩٦

فإنّهم على الرغم من إسهامهم في علاج تلك الأصوات الصامتة ، واعتدادهم بها أصواتاً مستقلة متمايزة ، رأيناهم يعالجون اصوات العلّة علاجاً سطحياً وينظرون إليها على أنّها تابعة للأصوات الصامتة لا تستقل بنفسها في النّطق تماماً كاستقلال الأصوات الصامتة " [١]

ويمضي الدكتور رمضان في استرشاده بمناهج النّظر الغربيّة اللغويّة فيحكم على اللغويين القدامى بالخطأ ، وسبب وقوعهم في هذا الخطأ في نظره " أنّ الكتابة العربيّة لا ترمز إلى الحركات أو أصوات العلّة القصيرة في بنية الكلمة وإنّما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته ، فتوهموا لذلك أنّها تابعة للحرف ، وليست رمزاً لصوت مستقل تمام الاستقلال ، ولا يقلّ في شأنه عن رمز الحرف للأصوات الصامتة " [٢]ويقول أيضاً : " وقد وقعوا في خطأ آخر حين عدّوا حروف المد وهي الألف في مثل قام والواو في مثل يدعو والياء في مثل القاضي أصواتاً صامتة ولذلك وضعوا قبل الألف علامة الفتحة ، كما وضعوا قبل الواو علامة الضمة ، وقبل الياء علامة الكسرة ، في حين أنّ الألف والواو والياء في مثل هذه المواقع علامات لأصوات : الفتحة الطويلة ، والضمة الطويلة ، والكسرة الطويلة . وقد وقعوا في هذا الخطأ أيضاً بسبب أنّ الخط العربي يرمز للحركات الطويلة برمز في داخل بنية الكلمة بعكس الحركات القصيرة" [٣]

وأخذ الدكتور رمضان عبد التّواب يخوض في نشأة الخط العربي ويرجع العيب الذي ذكره إلى الخط النّبطي ثم أخذ يسوق أقوالا لعلماء

---

(١) عبد التواب ، رمضان ، فصول في فقه اللغة ، ص٣٩٧

(٢) نفسه ، ص٣٩٧

(٣) نفسه ، ص٣٩٨

عرب مثل الخليل بن أحمد ، وأبي علي الفارسي ، والمبرد ، وابن جني ، وابن يعيش ن وابن خلدون وعلماء أجانب مثل دانيال جونز ، وكانتينو وينتهي إلى " أنّ اللغويين العرب كانوا ينظرون في بناء قواعدهم إلى الخط العربي ، لا إلى النطق، ولا يعيب هذا الخط العربي ... بقدر ما يعيب مناهج اللغويين القدامى في تأثرهم بالصورة المكتوبة في كثير من الأحيان ، و إهمالهم النّواحي الصوتية ، وما الخط في جميع اللغات إلاّ وسيلة ناقصة للتعبير عن الصورة السمعية الحيّة ، كما يذهب إلى ذلك علماء الأصوات من المحدثين"(١)

وأرى أنّ العيب أن نحمل لغتنا على لغات أخرى ، وأن نكرهها على أن تكون صورة منسوخة عن هذه اللغات والعيب أيضاً أن يكون كلامنا وفكرنا صدى للدراسات الاستشراقية ، ومناهج النّظر الغربية اللغوية من غير إبداع ذاتي ، ومن غير غربلة أو تنخيل لما نقرؤه من أنظار تلك اللغات

ومسألة مغايرة المنطوق للمكتوب في العربيّة مسألة أثارها من قبل الدكتور رمضان عبد التواب كثيرون منهم عبد العزيز فهمي في مقترحه " تيسير الكتابة العربية " ، وكان حريّاً بالدكتور رمضان أن يبين ما في اللغة الانجليزية من مغايرة بين المنطوق والمكتوب ، وما في اللغة الفرنسية من مغايرة أوسع ، ولم نسمع أحداً من أصحاب هذه اللغات من يشكو من ذلك أو يتهم لغته بالعيب أو الخطأ ، لأن ّهذه اللغات قواعد يرجع إليها أصحابها . واللغة العربيّة كذلك لها قواعدها ، وأصولها ، وأسسها . والأصل أن يكون متعلم العربية جاداً في التّحصيل معتزا ً برسالة العربيّة واثقاً من وفاء هذه

(١) عبد التواب ، رمضان ، فصول في فقه العربية ، ص٤١٠

اللغة الشّريفة بمتطلبات العصر. وكان حريّاً بالدكتور رمضان أن يميز بين النّواميس العامّة التي تحكم اللغات جميعاً وبين النّواميس الخاصة التي تختص بها كلّ لغة وتمتاز بها عن سائر اللغات .

وبعد هذه العجاجة التي أثارها الدكتور رمضان يختم حديثه بتراجع عن كلّ ما ذكره ، لكنه تراجع مقنع بالتّراث قال : " ولا يعنينا هنا البحث عن وسائل إصلاح هذا الخط ، والقضاء على عيوبه ، فقد ذاع وانتشر ، وكتب به تراث ضخم ، وأيّ تفكير في إصلاح عيوبه لا يصح أن يغفل هذا التّراث والله أعلم "(١)

إذا كان الأمر كذلك فلم عنّى الدكتور رمضان نفسه بتسطير ست عشرة صفحة عنوانها " مشكلة الخط العربي وأوهام اللغويين " والحل عندي أنّ اللغة العربية لها سماتها وخصائصها ونواميسها ، لا يجوز حملها على نواميس أي لغة أخرى ، وعلى المتعلم أن يعنّي نفسه بمعرفة قواعدها ، لأنّ العلم لا يتأتى للعالم بالمغالاة في التّيسير والتّجديد والتّهذيب ونحو ذلك وإنّما يتأتى بالسهر والمعاناة والنّظر المتغلغل في بطون الكتب .

إنّ كثيراً من الأفكار التي أثيرت منذ قرن أو يزيد حول نحو هذه اللغة وصرفها وأصواتها وخطها يجب أن يعاد النّظر فيها والكشف عن الينابيع التي نهلت وعلّت منها .يجب أن يعاد النّظر في كثير من الفكر اللغوي المعاصر لأنّه صدى للفكر الغربي وتبعية ظاهرة وأحسن ما يقال فيه أنّه ترجمة لهذا الفكر إن صحت التّرجمة وجاءت وفق الأصول .الفكر العربي الحديث قدر الإبداع فيه قليل للسبب الذي ذكرته.

---

(١) عبد التواب ، رمضان ، فصول في فقه العربية، ص ٤١٢

وغلا بعض الباحثين العرب مقتفياً آثار الدرس الاستشراقي فطالب بإحداث تغييرات جذرية في الرّسم العربي كدعوة الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في مقترحه الموسوم ب: "تيسير الكتابة العربية " و تابعه الدكتور أنيس فريحة في كتابه "نحو عربية ميسرة "وهذه الدعوة دعوة خطرة على اللغة العربيّة لأنّها تقطع الماضي عن الحاضر و ينشأ عن الأخذ بها تحوّل القرآن والتّراث كله والحديث النّبوي إلى كتاب مغلق لا يستطيع النّاس التعامل معه. ومن العسير أن ينفصل المرء عن دينه و عن ماضيه وعن كنوز تراثه ،وقد فصّل الدكتور محمد محمد حسين القول في كثير من الدّعوات التي وصفها بالهدّامة ،استهدفت الدين ،واللغة بقواعدها وخطها[١].

وأوّل من أثار مسألة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي هو القاضي الانجليزي ولمور "الذي اقترح ...إلى جانب الأخذ بالعاميّة ،كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية "[٢]. وردّ نلنيو على هذا المقترح بأنّه يقتضي إيجاد حروف جديده فضلاً عن أنّ الخط العربي يمتاز بميزة فذة فهو قريب مما يسمّى بالاختزال ،[٣] والخط العربي ليس في حاجة إلى اختزال ، ثم يتساءل نلنيو فيقول : " فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلّفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها وكلها مدوّنة بالخط العربي " [٤]

---

(١) انظر حسين ، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ،ص ٣٦٨/٢-٣٨٨

(٢) حسين ، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر٣٧٦/٢

(٣) انظر نفسه ٣٨١/٢

(٤) نفسه ٢٨١/٢

وساق الدكتور محمد محمد حسين طائفة من الآراء لكتّاب حاولوا فيها إصلاح الخط العربي من وجهة نظرهم ، وساق طائفة من الردود على تباينها ، وسلط الدكتور محمد محمد حسين الضوء على هذه الدّعوات الهدامة في كتاب آخر له سمّاه " حصوننا مهددة من داخلها "وكشف ما فيها من زيف وتضليل [١]، وكشف الأستاذ عباس حسن ما في هذه الفكره من ضرر وفساد في كتابه " اللغة والنّحو بين القديم والحديث " يقول : " إنّ أنصار الكتابة اللاتينية والاستغناء بها عن الكتابة العربيّة يؤيدون دعواهم بأنّ القارئ العربي لا يستطيع أن يقرأ ما يقع عليه ناظره قراءة صحيحة سليمة إلاّ إذا فهمه أولاً وأدار عليه فكره ، ويتضح أنّ الكتابة اللاتينية كالكتابة العربيّة كلاهما يتألف من حروف أصيلة ومن علامات ضابطة لتلك الحروف الأصيلة مميزة لها ، بيْدَ أنّ هذه العلامات في العربيّة رموز تستقل بنفسها ، وتنفصل عن حروفها ، وتستقر فوقها أو تحتها ، وقد يمكن الاستغناء عنها أحياناً لكنها في اللاتينية لا تستقل ولا تنفصل ولا تحذف ، وإنّما ترتسم بصورة حروف مشبوكة متماسكة وهذه هي ناحية الفرق وبفضلها يقرأ القارئ فلا يخطئ ، ولا يحتاج إلى تفكير قبل البدء لأنّ كل حرف من حروف الكلمة يتصل بعلاقته التي تلازمه وترتبط به ارتباطاً وثيقاً فلا يقع الخطأ ولا التّردد ولا البطء في قراءته ، ولا يتطلب ذلك فهماً سابقاً ، وتلك مزية لا مراء فيها ، ولكنها مزية لم تفقدها العربيّة ولم يغفل عنها السابقون من علمائنا العباقرة فهي ليست إلاّ صورة من صور التّشكيل ،وضبط الحروف المعروف عندنا منذ عشرات القرون ، ولا فصل لها إلاّ في تشابك الحرف الأصلي مع حركته المصوّرة بصورة حرف فرعي متعلق بذيل

(١) انظر حسين ، محمد محمد، حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٤٥ وما بعدها

سابقه تعلقاً تاماً، فلو أننا ضبطنا الحروف العربيّة بالشكل الكامل لصارت قراءتها في يسرها وسهولتها وسرعتها كقراءة الكتابة اللاتينية سواء بسواء "[١].ويقول :"إنّ ترك الشّكل في الكتابة العربيّة ليس أصلاً من أصولها، ولا ضرورة محتومة عليها ...فالكاتب العربي حرّ في أن يضبط بالشّكل حروفه كلها أو بعضها ... إنّ استبدال الحروف العربيّة بالحروف اللاتينية ليس إلاّ اقتراحاً خدّاع المظهر ، وهمي الأثر لا يثبت على النّظرة الصائبة ولا الدراسة الفاحصة ، فإنّ الهاتفين به يلوحون بفائدته ... مع أنّ هذه الفائدة متحققة في كتابتنا العربية المشكولة ... ونزيد هنا أن أولئك الهاتفين لم يفطنوا إلى طبيعة اللغة العربيّة التي تخالف طبيعة كثير من اللغات ... فاقتراح الحروف اللاتينية إن أعفى القارئ من متاعب الدّراسات اللغويّة لم يعف الكاتب ولا المتكلم المرتجل ... فكل مكتوب صحيح ، وكلّ منطوق سليم ، لابدّ أن يسبقه إعداد في النّفس يجري به اللسان أو القلم ولا عصمة لواحدٍ من هذين إلاّ بالدراسة اللغويّة النّحوية التي نحاول الفرار منها، ونزعم أنّ اقتراح الحروف اللاتينية يغني عنها ، ويريح من عنائها ، وهنا موطن الوهم ومكمن الخداع فوق ما فيه من تنكر لماضينا ...وإهدار لتراثنا العربيّ النّفيس بقيمه الرّوحية والأدبيّة والعمرانيّة ، وإذلال لنفوس النّاطقين بالضاد "[٢]. وعرضت الدكتوره نفوسة زكريا سعيد بتفصيل مقترح عبد العزيز فهمي وما رأى فيه صاحبه من مزايا ، والردود التي تصدت له بتفصيل ، ومن ذلك " طريقة الكتابة العربيّة بالحروف اللاتينية إن أفادت في قراءة الكلمة المكتوبة على صورة واحدة لا تمنع كتابة الكلمة الواحدة على

(١) حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص٢٧١

(٢) حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص٢٧١-٢٧٤

صور متباينة على حسب اختلاف الكاتبين في العلم بصحة الوزن والصيغة والإعراب ، فتيسير الرّسم مهما يكن أمره لا يغني الطالب عن تعريف الصواب عن طريق القواعد النّحوية والصرفيّة ، ومع العلم بهذه القواعد لا حاجة إلى الطريقة المقترحة ،ومع الجهل بها لا عصمة للغة ولا للقرّاء"[١]

وقالت أيضاً إنّ "الطريقة المقترحة للكتابة بالحروف اللاتينية ليست بأيسر من كتابتنا الحالية ،فهي لا تغنينا عن النّقط ولا عن العلامات التي تشبه الشكل ،هذا فضلاً عن التّشويه الظاهر فيها نتيجة للخلط بين الحروف العربيّة والحروف اللاتينية "[٢]،وعبد العزيز فهمي "لم يكن أوّل من فكر في مشروع استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة ...ولكنّه كان أوّل من اهتم بالفكرة اهتماماً جدياً في مصر "[٣]

وعرضت الدكتوره نفوسه اقتراحاً للأستاذ أحمد لطفي السيد يقضي بتيسير الكتابة العربيّة –كما يرى – "بالدلالة بالحروف عن الحركات على أن تدخل هذه الحروف في بنية الكلمة فتكتب ضرب هكذا ضاربا...وتكتب سعدٌ هكذا ساعدون بالرفع ، وساعدان بالنصب ، وساعدين بالجر ".[٤]

ومقترح الأستاذ أحمد لطفي السيد صورة ثانية لمقترح عبد العزيز فهمي ،فالأوّل يقضي بكتابة الحرف العربيّ بالحرف اللاتيني ،وأمّا الثّاني فيقضي بالإبقاء على الحرف العربي على نسق اللغات الأوروبيّة وهو اقتراح

---

(١) سعيد، نفوسه ،زكريا ،تاريخ الدعوة إلى العامية آثارها في مصر ،٢١٤-٢١٥،وانظر ص٢٠٨-٢٢٠

(٢) سعيد ،نفوسه ،زكريا ،تاريخ الدعوة إلى العامية آثارها في مصر ،ص ٢١٥

(٣) نفسه ،ص ٢٠٨

(٤) سعيد ،نفوسه ،زكريا ،تاريخ الدعوة إلى العامية آثارها في مصر ،ص ٢٢٠

يقطع صلة الماضي بالحاضر ،" ولأنّه يلزمنا باثبات حركات لا تدعو الحاجة إلى اثباتها "[١]

وعرض الدكتور عبد الجبار جعفر القزّاز محاولة للشاعر العراقي المعروف الأستاذ جميل صدقي الزّهاوي بعنوان :"الخط الجديد "دعا فيه "إلى اتخاذ حروف جديدة في الكتابة ،وطباعتها بدلاًمن الحروف العربيّة المعروفة ...والخط الجديد الذي اقترحه الزّهاوي ينقسم إلى قسمين :أحدهما للكتابة ، والثّاني للطباعة .أمّا خط الكتابة فأشكاله مؤلفه من الأصول التي حررها وعددها ٢٨ حرفاً تكتب مركبة من غير تقطع من اليمين إلى اليسار ،أو من اليسار إلى اليمين .وأمّا الحركات الثّلاث فثلاث إشارات تكتب بعد الحرف في طريق وصلة بالغير .أما المدّ الذي يوضع له في الخط القديم حرف فليس له في الخط الجديد إشارة مخصوصة بل يكتفى بأن تكتب الحروف الممدودة أكبر مما لم تمد ، والشدّ لا يقتضي أن يكرر له الحرف بل يوضع فوق الحرف نقطة تدل عليه .ويقتضي أن تكتب الحروف الملفوظة فقط. وأمّا ما لم يلفظ كالألف واللام في أوائل الكلمات فلا يكتب .أمّا خط الطباعة فقد ذكر الزّهاوي له أكثر من طريقة ،وترك حرية الخيار لأصحاب الشّأن"[٢]

وواضح أنّ مقترح الأستاذ الزّهاوي يشبه مقترح الأستاذ عبد العزيز فهمي بكلّ ما فيه من عيوب ،ويزيد عليه أنّه أكثر تعقيداً وعسراً.ومن المحاولات التي ساقها الدكتور القزّاز حول إصلاح الحروف المقترح الذي قدمه الدكتور داود الجلبي الموصلي إلى مجلس المبعوثان التّركي سنة ١٩٠٨م ودعا فيه إلى "اتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربيّة

(١) نفسه ،ص ٢٢١

(٢) القزاز ،عبد الجبار جعفر ،الدراسات اللغوية في العراق ،ص ١٩٠-١٩١

المعروفة ، وذكر مزايا الحروف الأولى ، وعيوب الأخرى "[١] وقدّم الجلبي خلاصة هذه الدعوة إلى مجمع اللغة العربيّة في القاهرة سنة ١٩٤٥م طبعت الخلاصة في مطبعة آل حداد بالموصل سنة ١٩٤٥م، وتقع في ٢٧ صفحة من القطع الوسط، وجاء في صفحتها الأولى :اقتراح الدكتور داود الجلبي الموصلي تيسير الكتابة العربيّة ، وضبط قراءتها باستعمال الحروف اللاتينية. وقال الجلبي في مقدمة اقتراحه: "كنت أوّل من اقترح استبدال الحروف اللاتينية من الحروف العربية "[٢] وواضح أن ّما قيل في التّعليق على مقترح الأستاذ عبد العزيز فهمي يقال هنا ، وإذا كان الدكتور الجلبي قد سبق الأستاذ فهمي إلى هذا المقترح الضار ، لكنه ليس أوّل من دعا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة ، فقد سبقهما القاضي الانجليزي ولمور كما سبق قول ذلك.

وبعد هذا التّطواف في الجهود التي بذلت في خدمة الرّسم العربي قديما ً وحديثاً يلاحظ أنّ القدماء قد قدموا جهوداً فائقة في خدمة الرّسم وبيان ما يحتاجه الكاتب من لوازم الكتابة ، والعربيّة هي اللسان الذي يعتزون به ، ويعملون على نشره وإذاعته ،وتقريبه إلى النّاس ،وإذا وقع بينهم خلاف فهو خلاف في الفروع لا في الأصول ،وإذا وقع لبس استعين بازالة اللبس بالشّكل أو بضبط الكلمة . وهذا كلّه يعني أنّ الخط العربي أو الرّسم العربي لا مشكلة فيه عندهم ، ولا عند من تابعهم من المحدثين .

وطالب العربيّة الأصل فيه أن يكون جاداً ويعنّي نفسه في تحصيل مسائلها ،لأنّ العالم لا يبلغ الرتبة التي يشار إليها بسببها إلاّ بعد سهر

(١) القزاز ،عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق ،ص ١٩٣
(٢) نفسه ،ص ١٩٣

ومعاناة .أمّا المحدثون الذين ذهبوا مذاهب شتى متسربلة بالتّيسير ، والتّجديد ، والاصلاح ونحو ذلك من المصطلحات المضللة فقد اتخذوا من طرائق اللغات الأجنبية أساساً ومن مناهج النّظر اللغوي الغربي متكأ وسنداً.

والأصل أن يعلموا أنّ ثمة نواميس لغوية عامّة تحكم اللغات ،وثمة نواميس خاصة تختص بها لغة دون أخرى ، ولا يجوز حمل لغة على لغة في طرائقها وأساليبها . كما يلاحظ أنّ اختلاف الصورة المكتوبة عن الصورة المنطوقة في العربيّة أقل بكثير من هذا الاختلاف الواقع في اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ولم يشك أحد من أبناء هاتين اللغتين من هذه المسألة لأنّ لهم قواعد يرجعون إليها ، والأصل في طالب العربيّة أن يرجع إلى قواعد لغته لا أن ينام مستنداً إلى التّيسير ،والتّهذيب ،والاصلاح والتّجديد .إنّ هذه المصطلحات التي شغل بها كثير من الباحثين العرب على مدى قرن أو يزيد لم تزد الأجيال المتعاقبة إلا وهناً وضعفاً على ضعف .

الخاتمة :

* كشف البحث عن عناية القدماء الفائقة بالرّسم العربي حيث قعّدوا له القواعد وأصلّوا الأصول ،ولم يقف اهتمامهم عند هذا الحد بل تجاوزه إلى ذكر ما يحتاجه الكاتب من لوازم الكتابة كالدواة، والحبر ، والقلم ونحو ذلك

* لم يرتب أحد من القدماء في صحة الرّسم العربي ،وإذا وقع بين العلماء خلاف فهو خلاف في اجتهادات فرعية لم تمس الأصول قيد أنملة .

* ذهب المحدثون في تناول الرّسم ثلاثة مذاهب :مذهب اقتفى آثار المتقدمين فقدّم الرّسم العربيّ بصورة ميسرة مدعوماً بالأمثلة والتّدريبات والتّمرينات ،ومذهب حاول أن يرى في الخط بعض المشكلات فقدّم مقترحات لا تمس الأصول بل الفروع ويمكن غضّ الطرف عن مثل هذه الاقتراحات ،ومذهب اقتفى آثار المستشرقين وأنظار الغربيين في الدّرس اللغوي ، يريدون بذلك أن يكون الرّسم العربي صورة طبق الأصل عن رسم اللغات الأوروبية جاهلاً أو متجاهلاً أن هناك نواميس عامّة تحكم اللغات ونواميس خاصة تخص كلّ لغة ، ولا يجوز حمل لغة على أخرى ،ومذهب دعا إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي اقتداء بأفكار القاضي الانجليزي ولمور والدراسات الاستشراقية بصورة عامّة ،وهذا المذهب من أخطر المذاهب على اللغة والأمة لأنه يقطع حاضر الأمة عن ماضيها ،ويفصلها عن كنوزها التّراثية من علوم وآداب فضلاً عن فصلها عن القرآن والحديث النّبوي الشريف.

* كشف البحث أنّ المجددين أو المصلحين يسكنهم الخوف من اختلاف بعض الكلم في العربيّة في صورتيه المنطوقة والمكتوبة كأنّ العربية اللغة الوحيدة في العالم التي تضمّ في ثناياها هذه الظاهرة ،ونسي هؤلاء المصلحون أنّ العربية من أقلّ اللغات في هذه المسألة فاللغة الانجليزية تختلف الكثير من كلماتها في حالة المنطوق عن حالة المكتوب ، ويشتد الاختلاف في اللغة الفرنسية ،ولم يطالب الانجليز ولا الفرنسيون بتغيير حروف لغتهم .

* وضع علماؤنا ضوابط لأمن اللبس ،وهو ضبط الكلمات الملبسة مثلاً عَمّان تضبط حتى لا يقع اللبس بينها وبين عُمان ،وكِتاب وكُتّاب ،وعِرْض،وعُرْض ، وارتشاف الضَّرَب أي ارتشاف العسل ،يضبط حتى لا يقرأ الضَّرْب ، وهذا النّهج جرى عليه علماؤنا الأقدمون ومن تابعهم من المحدثين.

ثبت المصادر والمراجع

١- ابراهيم ،عبد العليم :الإملاء والترّقيم في الكتابة العربية ،مكتبة غريب ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م

٢- الأنباري ، كمال الدين أبو البركات :الإنصاف في مسائل الخلاف ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة ، المكتبة التّجارية الكبرى،١٣٨٠هـ-١٩٦١م

٣- الأنباري ،كمال الدين أبو البركات، منثور الفوائد ،تحقيق الدكتور حاتم الضامن ،الطبعة الأولى ،مؤسسة الرّسالة ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٤- تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية ،المطبعة النموذجية .

٥- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو ،الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٦- الجندي ،عبد الحميد سند، ابن قتيبة ،العالم الناقد الأديب ،المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والتّرجمة والطباعة والنّشر .

٧- ابن جني ،أبو الفتح عثمان ،الألفاظ المهموزة وعقود الهمز ،تحقيق مازن المبارك ،الطبعة الأولى ،دار الفكر المعاصر ،بيروت-لبنان ،دار الفكر ،دمشق -سورية ،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٨- حسن ،عباس ،اللغة والنحو بين القديم والحديث ،دار المعارف ،مصر ، ١٩٦٦م

٩- حسين ، محمد محمد ،الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ،الطبعة السادسة ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

١٠- حسين ، محمد محمد ،حصوننا مهددة من داخلها ،الطبعة الثامنة ، مؤسسة الرّسالة ،١٤٠٤ه-١٩٨٣م

١١- ابن درستويه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر ،الكتاب ،تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ،والدكتور عبد الحسين الفتلي ،الطبعة الأولى ،دار الكتب الثقافية ،الكويت-حولي ،١٣٩٧ه-١٩٧٧م

١٢- الزّجاجي ،عبد الرحمن بن اسحق ،الجمل في النذحو ،تحقيق علي توفيق الحمد ، الأردن ،١٤٠٤ه-١٩٨٤

١٣- سعيد ، نفوسة زكريا ،تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، الطبعة الأولى، دار نشر الثقافة مصر ،الاسكندرية ،١٣٨٣ه-١٩٦٤م

١٤- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى ،أدب الكاتب ،عني بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الأثري ،المطبعة السلفية ،مصر ١٣٤١ه

١٥- عبد التّواب ،رمضان ،فصول في فقه العربية ،الطبعة الثانية ،مكتبة الخانجي ،القاهرة .

١٦- فريحة ،أنيس ،نحو عربية ميسرة ،دار الثقافة -بيروت ،١٩٥٥

١٧- فهمي ،عبد العزيز ،تيسير الكتابة العربية ، المطبعة الأميرية ،القاهرة، ١٩٤٦

١٨- ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،القاهرة،١٣٥٥ه

١٩- ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار ،المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والتّرجمة والطباعة والنّشر ،القاهرة ،١٣٨٣ه-١٩٦٣م

٢٠- القزّاز، عبد الجبار جعفر ،الدراسات اللغوية في العراق ،منشورات وزارة الثّقافة والإعلام ،بغداد ،العراق ،١٣٩٩ه-١٩٧٩م

٢١- القلقشندي ،شهاب الدين أحمد بن علي ،صبح الأعشى في صناعة الانشا ،القاهرة ،١٩٦٢م

٢٢- هارون ،عبد السلام محمد ، قواعد الإملاء ،القاهرة .

٢٣- الهاشمي ،السيد أحمد ،المفرد العلم في رسم القلم ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة، مصر .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص البحث	٧٩٩٣
٢.	Research Summary	٧٩٩٤
٣.	المقدمة	٧٩٩٥
٤.	تمهيد:	٧٩٩٧
٥.	القسم الأوّل : من جهود علمائنا الأقدمين.	٧٩٩٩
٦.	القسم الثاني: من جهود المحدثين في الرّسم العربي.	٨٠٠٨
٧.	الخاتمة:	٨٠٢٤
٨.	ثبت المصادر والمراجع	٨٠٢٦
٩.	فهرس الموضوعات	٨٠٢٩

تم بحمد الله